پژوهش‌نامهٔ نقد وهابیت؛ سراج منیر ◈ سال دوازدهم ◈ شمارهٔ ۴۷ ◈ پاییز ۱۴۰۱
صفحات: ۱۱۲- ۹۳ ◈ تاریخ دریافت: ۱۴۰۱/۰۵/۲۵ ◈ تاریخ تأیید: ۱۴۰۱/۰۷/۱۸

تبیین شرکیّة دعاء غیر الله في رؤیة الوهابیّة

السید حسن هراشی*

الملخّص

الوهابیّون قاموا بتشریك من یدعو غیر الله تعالی علی نحو العبادة والسؤال، والحال أنّ هنالك فرقًا بین الدعاء والعبادة والسؤال، ولیس کلّ دعاء وطلب یُعدّ عبادة، بل یفتقر إلی اعتقاد الربوبیّة والإلوهیّة ونیّة العبادة في المدعوّ، والقصد من کتابة هذه المقالة، تعریف دعاء غیر الله لغویًّا واصطلاحیًّا ثمّ تجمیع شروطه وإثبات شرعیّته بشروط، والردّ علی ادّعاء الوهابیّین في مسألة دعاء غیر الله تعالی وترادفه للسؤال والعبادة، وأقمنا أدلّةً علی ما نحن بصدد إثباته من تشریح العبادة وملاکاتها وتخلّصنا بنتیجة.

الکلمات المفتاحیّة: دعاء غیر الله، الوهابیّة، التوحید الألوهي، شیوخ نجد، الشرك، العبادة.

* فارغ‌التحصیل سطح سه نقد وهابیت مؤسسهٔ دار الاعلام لمدرسة اهل البیت علیهم‌السلام

المقدّمه

الإنسان مخلوقٌ بطبيعةٍ وفطرةٍ محتاجةٍ إلى غيره؛ لذلك تجده يدعو وينادي الله تعالى في أموره المعنويّة والماديّة، ويطلب من غير الله تعالى أمورًا تتعلّق بدينه ودنياه واحتياجاته اليوميّة، حتّى أشارالقرآن إلى هذه الصفة في الإنسان بقوله تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسانُ ضَعِيفًا**﴾،[1] ضعيفًا... فمنّ الله عليهم بتشريع حلية ما، تنكسر به سورة شهوتهم بتجويز النكاح بما يرتفع به غائلة الحرج،[2] فهو محتاج للغير على كلّ حال سواء كان احتياجه لله تعالى أو غيره، وباختلاف الاحتياجات يختلف المحتاج إليه .

تختلف الشروط عند الدّاعي باختلاف المدعوّ والمخاطب للدعاء والنداء، فمن كان يدعو وينادي الله تعالى يجب عليه أن يلفت نظره لبعض الأمور الباطنيّة من توحيد الله تعالى في الاعتقاد وصرف نيّة العبادة له تعالى، واستحضار عظمة المدعو سبحانه ويخلص النيّة في دعائه تعالى، ويعترف لله بالربوبيّة وعلى نفسه بالعبوديّة[3]. وإذا كان المدعوّ غير الله تعالى يجب على الداعي ألا يصرف هذه الأمور له أبدًا؛ حتّى لا يسقط في متاهات الشرك وعبادة غير الله سبحانه وتعالى؛ ونظرًا إلى دقّة هذا البحث وأهميّته في العقيدة وجدنا الوهابيّين لم يلتفتوا إلى هذه الشروط والملاكات، وصاروا يكفّرون المسلمين ويتّهمونهم بالشرك وعبادة غير اللّه تعالى!.

وقد أُلِّفَتْ تأليفات تتعلّق بالأبحاث العقديّة والردّ على ما اعتقده شيوخ الوهابيّة النجديّة، وذُكِرَ فيها بعض الشروط الّتي يجب على الدّاعي التحلّي بها، ولكنّها غير وافية بالمطلوب؛ وذلك لأنّها قد أدرج فيها بعض الشروط دون الأخرى مثلًا: في كتاب الرؤية الوهابيّة يبحث مسألة الاعتقاد (خواص الربوبيّة والأولوهيّة) والنيّة[4] يترك الملاكات الأخر، وكتاب التوحيد والشرك في القرآن، مسألة الاعتقاد مع الاستقلال وعدم الاستقلال،[5]

---

١. سورة النساء: ٢٨.

٢. الطباطبائي، محمّدحسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٢٨.

٣. الأرمي العلوي الشافعي، محمّدالأمين بن عبد اللّه، تفسير حدائق الرّوح والرّيحان في روابي علوم القرآن، ج ١٠، ص ٢٤٣.

٤. النابُلسي، عثمان مصطفى، الرؤية الوهابيّة، ص ١٥٠.

٥. السبحاني، جعفر، التوحيد والشرك في القرآن، ص ٧٩-٩٠.

وكتاب مفاهيم يجب أن تصحّح يذكر مسألة التسبيب [1] ويكتفي .

لذلك قمنا بكتابة هذه المقالة بفضل الله، جامعين وباحثين فيها الشروط والملاكات الّتي تمنع من أن يطلق على من يدعو غير الله تعالى، مشركًا أو عابدًا لغيره تعالى وانتقدنا بعض ادّعاءات الوهابيّة، وأثبتنا نظريّتنا الجامعة من الكتاب والسنّة وسيرة المسلمين؛ حتّى تكون هذه المقالة سدًّا منيعًا ولو بشكل موجز، أمام تكفير الوهابيّةِ للسواد الأعظم من المسلمين.

الدعاء في اللغة والاصطلاح

الدعاء في اللغة: قال ابن فارس: وهو أن تميل الشَّيءَ إليك بصوتٍ وكلامٍ يكون منك. تقول: دعوتُ أدعُو دعاءَ.[2] وقال الفيّومي: دَعَوْتُ اللهَ (أَدْعُوهُ) (دُعَاءً) ابْتَهَلْتُ إِلَيْهِ بالسُّؤَالِ وَرَغِبْتُ فِيمَا عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ.[3] فالدعاء هو طلب المنفعة من المدعو .

وأمّا في الاصطلاح: بما أنّ المعنى الاصطلاحي لأيّ مفردة لا يأتي بعيدًا عن المعنى اللغوي لها،[4] فيكون المعنى الاصطلاحي لدعاء غير الله هو: طلب الداعي المسلم من غير الله تعالى لا على نحو استقلال المدعوّ في التصرّف[5] والاعتقاد بربوبيّته،[6،7] ألوهيّته،[8] وقصد عبادته؛[9] ولذلك نرى بعض علماء المسلمين عرّفوا العبادة بأنّها: هي الخضوع – قولًا أو فعلًا – النّاشئ عن اعتقاد ألوهيّة المخضوع له أو ربوبيّته أو بكونه مستقلًّا في فعله،[10] فهذا تعريف اصطلاحيٌّ جيّدٌ يعتنى به مع زيادة نيّة العبادة للمخضوع له .

---

١. المالكي الحسيني، محمّد بن علوي، مفاهيم يجب أن تُصحّح ، ص ١٩١.
٢. ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ٢٧٩.
٣. الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج ٢، ص ١٩٤.
٤. الحيدري ، كمال، الشفاعة بحوث في حقيقتها وأقسامها ومعطياتها، ص ١٢.
٥. السبحاني، جعفر، التوحيد والشرك في القرآن، ص ١٧٢.
٦. المكّي، ابن حجر، الجوهرالمنظّم في زيارة القبر الشريف النبوي المكرّم، ص ٢٩.
٧. ابن زيني دحلان، السيدأحمد، الدررالسنيّة في الرد على الوهابيّة، ص ٨.
٨. السقّاف، حسن بن علي، مجموع رسائل السقّاف، الإغاثة بأدلّة الإستغاثة، ج ١، ص ١٦٤-١٦٥.
٩. ابن زيني دحلان، السيدأحمد، فتنة الوهابيّة، ص ٦.
١٠. القطيفي، نزار ال سنبل، توحيد العبادة، ص ٧٠ .

تبيين رأي الوهابيّة في دعاء غير الله تعالى

علماء نجد الوهابيّة لا يحرّمون دعاء غير الله تعالى بشكل مطلق،[1] بل لهم تقسيم صنعوه وهو أنّهم يقسّمون الدعاء على قسمين: إمّا دعاء عبادةٍ، وإمّا دعاء مسألة، ودعاء المسألة: إمّا دعاء المخلوق فيما يقدر عليه، وإمّا فيما لا يقدر عليه إلّا الله،[2] ويحكمون بالتحريم وشركيّة القسم الأوّل من الدعاء العبادي لغير الله، والقسم الثاني من دعاء المسألة أي فيما لا يقدر عليه إلّا الله بشكل مطلق، أمّا دعاء المخلوق فيما يقدر عليه، فحكمه الجواز عندهم.[3]

طبعًا أنّ لكلّ مذهب من المذاهب الكلاميّة الإسلاميّة مباني يتبنّاها علماء ذلك المذهب العقدي عند الاستنباط، وأخذ الحكم من المصادر الشرعيّة، وعندما بحثنا في التيّار الوهابيّ النّجدي وجدنا مبناهم الفكري العقدي لتحريم دعاء غير الله تعالى قائمًا على مسألتين ومنهما ينطلق حكمهم بالحرمة والشّرك لدعاء غير الله تعالى.

المسألة الأولى: التشبّه بالمشركين والنصارى.[4] **والمسألة الثّانية:** العبادة؛ باعتبارهم دعاء غير الله تعالى (فيما لا يقدر عليه إلّا الله) عبادة.[5] والعبادة لا تجوز إلّا لله.

١- مسألة التشبّه بالمشركين والنصارى

الوهابيّة قاموا بتشبيه المسلمين بالمشركين والنصارى في مسألة دعاء غير الله تعالى؛ وبهذا الاحتجاج قالوا: هذا من أفعال المشركين والنصارى[6] ودين الجاهليّة،[7] بل إنّ مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأولين؛ لأنّ الأولين يشركون في الرخاء، ويخلصون في الشدّة، ومشركو زماننا شركهم دائمٌ في الرخاء والشدّة،[8] وأنّ المشركين كانوا مقرّين بالربوبيّة![1]

---

١. علماء نجد، الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ج ٢، ص ٣٦.
٢. ابن عثيمين، محمّد بن صالح، القول المفيد على كتاب التوحيد، ج ١، ص ١٢٠-١٢١.
٣. ابن عثيمين، محمد بن صالح ، شرح ثلاثة الأصول، ص٥٦.
٤. النجدي، عبد الرحمن بن حسن(ال الشيخ)، بيان المحجّة في الردّ على اللجة، ص ٢٧٠.
٥. النجدي، محمّد بن عبد الوهّاب،الجواهرالمضية ، ص١٧.
٦. النجدي، عبد الرحمن بن حسن(آل الشيخ)، بيان المحجّة في الردّ على اللجه، ص٢٧١.
٧. النجدي، محمّد بن عبد الوهّاب، تفسيرآيات من القرآن الكريم (المطبوع ضمن مؤلّفات الشيخ الجزء الخامس)، تفسير سورة البقرة، ج ١، ص ٤٢.
٨. النجدي، محمّد بن عبد الوهاب، أصول الإيمان، ص ٢٧.

فنقول: **أوّلًا:** ادّعاء تشبّه المسلمين بالنصارى هو ادّعاءٌ باطل؛ والسبب هو:

١- جعل حق التشريع للأحبار والرهبان من قِبَل النصارى، في حين التشريع حق للرّبِّ ومن شؤون الربوبيّة وخصائص الرب المتعال المخصّصة به دون غيره، قال تعالى: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ**﴾،[٢] قال البيضاوي في تفسيرها: بأنّ أطاعوهم في تحريم ما أحلّ الله وتحليل ما حرم الله أو بالسجود لهم، وَالْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ بأن جعلوه ابنًا لله.[٣]

٢- النصارى اتّخذوا النبي عيسى وأمّه عليهما السلام إلهين من دون الله، قد قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ... مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ**﴾.[٤] الأمر الذي أمره الله تعالى كان غايته التوحيد الربوبية ومن ثمّ الألوهيّة، فأين هؤلاء من عقيدة المسلمين في ربوبيّة الله تعالى وألوهيّته؟!

ثانيًا: صرف التشبّه بالنّصارى لا يدلّ على حرمة عملٍ مّا في كلّ حال، بل غاية ما يقال فيه إنّه مكروه،[٥] فضلًا عن كون العمل (دعاء غير الله تعالى) قد وردت بصحّته نصوص من الكتاب والسنّة، فلا يحرّم بحجّة تشبيهه بعمل النصّارى والمشركين إلّا بعد إثبات تحريمه من خلال النصوص الشرعيّة هذا، وقد قرّر النبي عليه الصلاة والسلام بعض عادات المشركين وتقاليدهم من دون تغيير فيها كقطع يد السارق،[٦] وحرمة بيوت العبادة والقبور،[٧] وغيرهما، وهذا يدلّ على ألّايصحّ تشنيع كلّ ما شابه عمل النصارى وحتّى المشركين.

ثالثًا: المشركون كانوا يعتقدون بتوحيد الخالقيّة الناقص ومن الواضح أنّ الربّ لا

---

١. النجدي، محمد بن عبد الوهاب، كشف الشبهات، ص ٥.
٢. التوبة: ٣١.
٣. البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل، ج ٣، ص ٧٩.
٤. المائدة: ١١٦.
٥. المقدسي الحنبلي، محمّد بن مفلّح، الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدّين علي بن سليمان المرداوي، ج ٢، ص ٥٨.
٦. علي، جواد، المفصّل في تأريخ العرب قبل الإسلام، ج ١٠، ص ٢٧٧.
٧. المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٢٨٢.

يكون بمعنى الخلق فحسب، بل يطلق على المالك الخالق، المصلح والصاحب[1] والرُّبُوبِيَّـةُ مصدر، يقال في الله عزّ وجل،[2] والرَّبُ: هو الله عزّ وجل؛[3] لذلك وصَفَهم الله تعالى بالإفك والكذب في معتقدهم: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَـخَّرَ الشَّـمْسَ وَالْقَمَـرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَـأَنَّى يُؤْفَكُـونَ}،[4] ولا يقـرّون بتوحيـد الربوبيّـة، بـل ينسـبون صـفات الـرحمن الربوبيّة وشؤونها كالنّفع والضرّ لأصنامهم، ويخوّفون النّبي بزعمهم بالأصنام.[5]

والشاهد على ذلك: أوّلًا: إنّ المشركين كانوا يعتقدون في أصنامهم العـزّة بينمـا العـزّة لله جميعًا ومن صفات الربوبيّة وشؤونها قد قال تعالى فـي المشـركين: ﴿وَاتَّخَـذُوا مِـنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾.[6]

ثانيًا: إنّهم يعتقدون فيها النصرة وهي من شؤون الربوبيّة: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَـةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾.[7] قال النسفي: أي لعل أصنامهم تنصرهم إذا حزّ بهم أمر.[8]

ثالثًا: ما يكون احتجاج النبي يوسف عليه السلام على المشركين بالربوبيّة بشكل صريح: ﴿يا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّـارُ﴾،[9] .[10] لـو كـان شـرك المشـركين في العبادة دون الربوبيّة فما هذا الاحتجاج من النبي يوسف عليه السلام عليهم.

رابعًا: إنّ قول فرعون عليه لعنة الله: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾،[11] بمعنى: لا ربّ فوقي.[1]

---

١. ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادّة رب، ج ٢، ص ٣٨٢.
٢. الراغب الاصفهاني، حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٣٣٧.
٣. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج ١، ص ٣٩٩.
٤. العنكبوت: ٦١.
٥. الزّمر: ٣٦ .
٦. مريم: ٨١.
٧. يس: ٧٤.
٨. النسفي، عبد الله بن أحمد، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، ج ٣، ص ١١٢.
٩. يوسف: ٣٩.
١٠. قال النّسفي في تفسيره: (يا صاحبي السجن) يا ساكني السجن كقوله (أصحاب النار وأصحاب الجنـة) (أَأَرْبَـابٌ مُّتَفَرِّقُـونَ خَيْرٌ أَمِ الله الواحد القهار) يريد التفرق فى العدد والتكاثر، أي أأن تكون أرباب شتّى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هـذا خيـر لكمـا أم يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية. [النسفي، عبد اللـه بـن أحمـد، تفسـير النسـفي (مـدارك التنزيـل وحقائق التأويل"، ج ٢، ص ١١١].
١١. النازعات: ٢٤.

فوقي.[1]

خامسًا: هو نفي المبدأ والمعاد ودهريّة المشركين، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[2]، قال ابن كثير: أي ما ثم إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثم معاد ولا قيامة، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد[3].

سادسًا: إنّ قول المشركين وهم في النّار: قال تعالى ﴿إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[4] بمعنى: [إِذْ نُسَوِّيكُمْ] مع كونكم من أدنى الأشياء وأرذلها نرجحكم ونفضلكم [بِرَبِّ الْعالَمِينَ] الذي هو أحد صمد فرد وتر ليس كمثله شيء، وليس له كفو لإضلال أبين من هذا وأعظم[5].

سابعًا: إنّ التأريخ يشهد بشرك المشركين في الربوبيّة: كان شعار المشركين في حرب أحد (إنّ لنا عُزّى ولا عُزّى لكم)؛ لذلك أمر النبي عليه الصلاة والسلام المسلمين أن يردّوا عليهم منادين: (اللهُ مولانا ولا مولى لكم)،[6] وهذا طلب النصرة من الأصنام في الحرب والشدائد قد صدر من أفواه المشركين فأين هم من التوحيد في الربوبيّة؟!

رابعًا: ما قاله بن زيني دحلان: فإنّ المؤمنين ما اتّخذوا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا الأولياء آلهة وجعلوهم شركاء الله، بل إنّما يعتقدون أنّهم عبيد الله مخلوقون، ولايعتقدون أنّهم مستحقّون العبادة، وأمّا المشركون... فكانوا يعتقدون استحقاق أصنامهم الأولوهيّة ويعظّمونها تعظيم الربوبيّة، وإن كانوا يعتقدون أنّها لا تخلق شيئًا.[7]

وقول حسن بن فرحان المالكي: مخالفونا من المسلمين الذين يفعلون بعض الأمور الّتي نراها (علماء نجد الوهابيّة) شركًا وهي في واقع الأمر بين أمرٍ مختلفٌ فيه أو

١. السيوطي، جلال الدين، محلّى، جلا الدين، تفسير الجلالين، ص ٥٨٧.
٢. الجاثية: ٢٤.
٣. ابن كثير الدمشقي، إسماعيل بن عمرو، تفسيرالقرآن العظيم، ج ٧، ص ٢٤٨.
٤. الشعراء: ٩٨.
٥. النخجواني، نعمة الله بن محمود، الفواتح الإلهيّة والمفاتح الغيبيّة، ج ٢، ص ٤٦.
٦. الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٢٢، ص ١٥٩؛ البخاري الجعفي، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج ٥، ص ٩٤.
٧. ابن زيني دحلان، السيد أحمد، فتنة الوهابيّة، ص ٥.

ممارسات خاطئة يفعلها بعضهم سواء كانت مباحة أو بدعًا أو شركيّات صغرى... أمّا الشركيّات الكبرى فقليلة جدًّا إن لم تكن معدومة ثمّ هذه المخالفات والخرافات والبدع ليست خاصّة بعصرنا، فهي قديمة، وهذا لا يعني ترك نقدها وبيانها والتحذير منها، وانّما يجب التحرّز من الغلوّ في إنكارها إلى أن يصل الأمر لتكفير المسلمين.[1]

فبهذه الأدلّة الواضحة الّتي ذكرناها يظهر لنا جليًّا بأنّ المشركين والنصارى كانوا يعتقدون في آلهتهم وأصنامهم وأربابهم صفات الربوبيّة وشؤونها كالعزّة والنصرة وحق التشريع وغير ذلك، فهم مشركون في الربوبيّة، وبما أنّ الربوبيّة مقدمة للعبادة؛ لذلك سقطوا في عبادة الأصنام لكنّ المسلمين يختلفون عن المشركين والنصارى في دعائهم غير الله، ويوحّدون الله في الربوبيّة والألوهيّة ويخلصون العبادة له تعالى فحسب .

ويظهر لنا ممّا ذكرناه آنفًا، أنّ المشركين والنصارى كانوا يعبدون غير الله تعالى ويدعون غيره تعالى؛ لأنّهم يعتقدون الربوبيّة وشؤونها في غير الله؛ لذلك صاروا يعبدونهم من دون الله، أمّا المسلمون فقد جعلوا صفات الربوبيّة والألوهيّة لله تعالى فحسب، وصفات الربوبيّة والألوهيّة هي صفات خاصّة لله عزّ وجل، ولا يجوز انتسابها لغير الله تعالى علوًّا كبيرًا؛ لذلك وصف المشركين الشيخ محمّد بن علوي المالكي بقوله: وأنّ المشركين المبطلين الضّالين... لا دين لهم صحيح ولا عقيدة معتبرة عند الجدال والمناقشة...[2] والحال أنّ المسلمين لم يشركوا بربوبيّة الله تعالى ولا في عبادته، ولم يبق في الأمّة اعتقاد الوثنيّة... وتحقق دائمًا أنّ صورة الخضوع الظاهرة لاتكون عبادة شرعًا إلّا إذا اقترن بهذا الاعتقاد الربوبيّة أو شيء من خصائصها فيمن حصل له الخضوع.[3] وهذا ما سنبيّنه في البحث الآتي إن شاءالله تعالى مفصّلًا.

٢- مسألة دعاء غير الله تعالى عبادة لغيره

الوهابيّون قالوا: إنّ الدعاء عبادة لا يصلح إلا لله، فمن دعاه فقد عبده، ومن عبد غير الله

١. ابن فرحان المالكي، حسن، قراءة في كتاب التوحيد للشيخ محمّد بن عبدالوهّاب، ص ٣-٤.
٢. ابن علوي المالكى، السيد محمّد، مفاهيم يجب أن تصحّح، ص ۶.
٣. محمّد سالم، محمدإبراهيم، مجموعة الردود الشاملة، ص ٢٤٣.

فقد أشرك،[1] والعبادة مبناها على التوقيف والإتّباع،[2] وأنّ الدعاء عبادة، فمن صرف شيئًا من هذه العبادة لغير الله، سواء كان ملكًا، أو نبيًّا، أو وليًّا، أو جنيًّا، أو إنسيًّا، أو حجرًا، أو شجرًا، فهو مشرك كافر.[3] كما قال محمّد بن عبد الوهاّب: إنّ ألمشركين كانوا مقرّين بالربوبيّة! إلا أنّهم يشركون في العبادة[4].

ما يستفاد من هذه العبارات هو أنّ الوهابيّة قد جعلوا معنى لفظ الدعاء، عبادةٌ وبما أنّ مصاديق العبادة لله تعالى وحده، فيجب أن يصرف الدعاء لله تعالى لا لغيره لكن بالتفسير الذي طرحه ابن عثيمين وذكرناه في تبيين رأي الوهابيّة، لكنّهم قد أخطئوا في تفسير كلمة الدعاء؛ لذلك سقطوا في متاهات سوء الفهم لمعنى لفظ الدعاء وصرفوه لمعنى العبادة فحسب طبقًا لهذه العبارات، وهذا ما تسبّب تحريم دعاء غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلّا الله عزّ وجلّ؛ لذلك فنقول في الجواب :

أوّلًا: القرآن لم يحرّم دعاء غير الله تعالى شرط ألا يعتقد في المدعو ما يعتقده في الله تعالى كما أنّ النبي سليمان عليه السلام قد طلب ممن حوله من أنصاره إتيان عرش ملكة سبأ وهي في بلدها ولم يزجره الله تعالى، بل ذكره في القرآن مؤيّدًا له قالَ: ﴿ **أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِها قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**﴾.[5]

وثانيًا: كلمة الدعاء قد استُعملَت في القرآن في معان غير العبادة كما قال تعالى: ﴿**فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُم...**﴾.[6] وقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدى لا يَتَّبِعُوكُم...**﴾.[7] وقوله تعالى: ﴿**فَما زالَتْ تِلْكَ دَعْواهُم**﴾.[8] بمعنى قولهم وقوله تعالى: ﴿**تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّى**﴾.[9] بمعنى تعذّب وتهلك وقوله تعالى: ﴿**أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمنِ وَلَدًا**﴾.[1] بمعنى الادّعاء،[2]

---

١. علماء نجد الأعلام، الدررالسنيّة في الأجوبة النجديّة، ج ١٢، ص ٥٣.
٢. المصدرالسابق، ج ٢، ص ١٩٣.
٣. المصدرالسابق،ج ١٠، ص ٤٤١-٤٤٢.
٤. النجدي، محمد بن عبد الوهاب، كشف الشبهات، ص ٥.
٥. النمل: ٣٨.
٦. ال عمران: ٦١.
٧. الأعراف: ١٩٣.
٨. الأنبياء: ١٥.
٩. المعارج: ١٧.

ولايصحّ أن نضع كلمة العبادة موضع كلمة الدعاء في هذه الآيات، ولايمكن أن نقول بترادف كلمة الدعاء لكلمة العبادة على كلّ حال، فليس كلّ دعاء عبادة، وليس كلّ عبادة دعاء، والنسبة بينهما عموم وخصوص من وجه،[٣] فلا يصحّ حصر معاني الدعاء في العبادة والمسألة فحسب، كما زعم ابن عثيمين في تقسيمه للدعاء في تأليفاته، فراجعوا كتابه القول المفيد.[٤]

وثالثًا: العبادة في اللغة هي: الطاعةُ مع الخُضُوع،[٥] والتذلّل لله،[٦] ولكنّها لم تعرّف في الكتاب والسنّة مفصّلًا وواضحًا، بل أقصى ما ذكر فيهما هو قيود العبادة دون الحد والتعريف، وقد عُرّفت في التراث الإسلامي عند المسلمين بشكل عامٍّ، فوجدناها ترجع الى ستّة محاور:

١- الْعِبَادَة هُوَ التذلل الْأَقْصَى.[٧] ٢- الْعِبَادَة: امْتِثَال الْأَمر.[٨] ٣- الْعِبَادَةُ الطَّاعَةُ لِلهِ تَعَالَى.[٩] ٤- الْعِبَادَة هِيَ اسْم جَامع لكل مَا يُحِبهُ الله ويرضاه من الْأَقْوَال والأعمال الْبَاطِنَة وَالظَّاهِرَة.[١٠] ٥- هُوَ الْخُضُوعُ وَالتَّذَلُّلُ فَحَدُّ الْعِبَادَةِ مَا تَعَبَّدْنَا بِهِ عَلَى وَجْهِ الْقُرْبَةِ وَالطَّاعَةِ.[١١] ٦- أيّ عمل ينبع من الاعتقاد بأنّ الله تعالى إله العالم أو ربّه أو غنيّ في فعله وأنّه مصدر الأفعال الإلهيّة ويكون (العمل) كاشفًا عن هذا النوع من التسليم المطلق يُعدُّ عبادة... ويقابله القول والفعل والخضوع غيرالنابع من هذا الاعتقاد[١٢].

---

١. مريم: ٩١.
٢. النّابُلسي، عثمان مصطفى، الرؤية الوهابيّة للتوحيد وأقسامه، ص ١٩٢.
٣. السبحاني، جعفر، التوحيد والشرك في القرآن الكريم، ص ١٨٣.
٤. ابن عثيمين، محمّد بن صالح، القول المفيد على كتاب التوحيد، ج ١، ص ١٢٠-١٢١.
٥. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج ٣، ص ٢٧٣.
٦. الطريحي، فخر الدين بن محمد، مجمع البحرين، ج ٣، ص ٩٥.
٧. شاه وليّ الله الدهلوي، أحمد بن عبد الرحيم، حجّة الله البالغة، ج ١، ص ١١٧؛ طريحي، فخر الدين بن محمد، مجمع البحرين، ج ٣، ص ٩٤.
٨. الماردیني الشافعي، شمس الدين بن محمّد، الأنجم الزاهرات على حلّ الفاظ الوارقات في أصول الفقه، ص ١٢٣.
٩. النووي، محيي الدين بن شرف، المجموع شرح المهذّب، ج ١، ص ٣١٢.
١٠. ابن تيميّة، تقي الدين بن أحمد بن عبد الحليم، العبوديّة، ج ١، ص ٤٤.
١١. النووي، محيي الدين بن شرف، المجموع شرح المهذّب، ج ١، ص ٣١٢.
١٢. السبحاني، جعفر، التوحيد والشرك في القرآن الكريم، ص ٩٤.

إذا تأمّلنا في المحاورالخمسة الأولى نجد التعاريف التي تدور حولها هي ناظرة إلى توسعة معنى العبادة لا تحديد حدٍّ تامٍّ لمعناها، ولا تنسجم مع الكتاب والسنّة النبويّة بشكل كامل، أمّا المحور السادس فإنّه أدق وأصحّ معنًى من المحاور الخمسة السابقة عليه، وهذا هو التعريف الذي يوافق الآيات والروايات الواردة في قيود العبادة، بل يفسّرها بشكل جيّد؛ لما تبيّن لنا في البحث السابق من أنّ المشركين كانوا يشركون في الربوبيّة والأولوهيّة ويرون استقلال أصنامهم في التأثير عند الشدائد وينتصرون بها؛ لذلك سقطوا في عبادتهم وصاروا يعبدونها، فإذا كان دعاء غير الله عبادة لغيره يجب أن يكون هذا الدعاء مصحوبًا باعتقاد الربوبيّة والألوهيّة والاستقلال في المدعوّ، في حين أنّ المسلمين لا يعتقدون الربوبيّة والألوهيّة والاستقلاليّة في غيرالله تعالى أبدًا؛ لذلك لا يصحّ الحكم عليهم بأنّهم يعبدون غير الله تعالى بدعائهم غير الله جلّ وعلا؛ لذلك قال الشيخ السبحاني (حفظه الله تعالى): لا أظنّ أنّ أحدًا على وجه البسيطة يجعل الدعاء مرادفًا للعبادة، وإلّا لم يمكن تسجيل أحد من النّاس _ حتّى الأنبياء _ في ديوان الموحدين، فلا بدّ أن يقترن بالدعاء شيءٌ آخر، ويصدر الدعاء عن عقيدة خاصّة في المدعوّ، وإلّا فمجرّد دعوة الغير حيًّا كان أو ميّتًا لايكون عبادة.[1]

رابعًا: النيّة والاعتقاد هما المحوران الأساسيان لتعيين حكم عمل الإنسان، فأيّ خضوعٍ نابعٍ عن اعتقاد خاصيّة من خصائص الربوبيّة يعتبر عبادة،[2] وإلّا فلا؛ لذلك نجد القرآن يحتجّ على المشركين بالربوبيّة والألوهيّة والاستقلاليّة؛ حيث قال تعالى: ﴿...**ذلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُون**﴾.[3] وقال تعالى في استقلاليته: ﴿**هذا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي ماذا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾،[4] يعني المشركون بالله العابدين معه غيره.[5] ونجد قول عمر بن الخطّاب قال: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّمَا الأَعْمَالُ

١. السبحاني، جعفر، الشفاعة في الكتاب والسنّة، ص ٧٥.
٢. النّابُلسي، عثمان مصطفى، الرؤية الوهابيّة للتوحيد وأقسامه، ص ١٤٣.
٣. يونس: ٣.
٤. لقمان: ١١.
٥. ابن كثير الدمشقي، إسماعيل بن عمرو، تفسير القرآن العظيم، ج ٦، ص ٢٩٨.

بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى...الحديث»؛[1] ولذلك علّق العلماء صحّة الأعمال على النيّات دون ظاهرها: «قَالَ الْعُلَمَاءُ وَالْمُرَادُ بِالْحَدِيثِ لَا يكون العمل شرعيًّا يتعلق به ثواب عقاب إِلَّا بِالنِّيَّةِ، وَلَفْظَةُ (إِنَّمَا) لِلْحَصْرِ تُثْبِتُ الْمَذْكُورَ، وَتَنْفِي مَا سِوَاهُ: قَالَ الْخَطَّابِيُّ وَأَفَادَ قَوْلُهُ ﷺ: وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَائِدَةً لَمْ تَحْصُلْ بِقَوْلِهِ: إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَهِيَ أَنَّ تَعْيِينَ الْعِبَادَةِ الْمَنْوِيَّةِ شَرْطٌ لِصِحَّتِهَا وَاللهُ أَعْلَمُ».[2]

خامسًا: إذا كان دعاء غير الله تعالى يعدّ عبادة لغير تعالى، ويُعتبر جعل ندٍّ لله تعالى لماذا الله تعالى قد وضع اسم الرسول ﷺ بجنب اسمه في أمورٍ لا يستطيع عليها إلّا الله تعالى بزعم الوهابية؟ كمسألة الغناء والرزق في قوله تعالى: ﴿**وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ**﴾.[3] وفي مسألة إعطاء الفضل والتفضّل على المسلمين: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْاْ مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ**﴾.[4] تضمنت هذه الآية الكريمة أدبًا عظيمًا وسرًّا شريفًا؛ حيث جعل الرضا بما آتاه الله ورسوله والتوكل على اللّه وحده.[5] ألم يكن هذا شرك بزعم الوهابيّة ومبناهم في أن دعاء غير الله في أمور لا يقدر عليها إلّا الله شرك بالله تعالى؟ هل يصحّ أن نقول بأنّ الله تعالى قد أشرك بربوبيّته وألوهيّته؛ حيث جعل الرسول يغني ويؤتي الفضل من دون الله؟! معاذ الله، فأيّ تأويل يستخدم هنا سواء كان السببيّة أو النيّة أو غيرهما، هو الذي نستخدمه في دعائنا لغير الله تعالى فتأمّلوا.

سادسًا: الإيمان هو إمارة لصحّة عمل المؤمن،[6] وحمل عمل المسلم على الصحّة والصواب واجب في الإسلام أوّلًا، واذا ثبتت صحّة عمله يجب الاتّباع منه ثانيًا، كما قد قرّر في مدوّنات الفقهيّة للفقهاء بقولهم: إنّ المسلم العاقل حينما يتكلّم أو يتصرف، فيجب حمل كلامه وتصرفه على أمرين: الأول: على الصّحّة والصّواب ما أمكن ذلك؛ لأنّ عقله

---

١. البخاري، محمّد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج ١، ص ٦.
٢. النووي، محيي الدين بن شرف، المجموع شرح المهذّب، ج ١، ص ٣١١.
٣. التوبة: ٧٤.
٤. التوبة: ٥٩.
٥. ابن كثيرالدمشقي، إسماعيل بن عمرو، تفسيرالقرآن العظيم، ج ٤، ص ١٤٥.
٦. المالكي الحسيني، محمّد بن علوي، مفاهيم يجب أن تُصحّح، ص ١٩١. آل عمران: ٥.

يمنعه أن يتكلّم أو يتصرّف باللغو والباطل أو غير المفيد. والأمر الثّاني: إنّه إذا صحّ كلامه وتصرفه فيجب العمل به شرعًا؛ لأنّه يجب حمله على الحلّ والصّحّة، ويترتب على ذلك أن يُعمل بما يقول، ولا يجوز إهمال كلامه أو إلغاؤه ما دام يمكن حمله على وجه يصحّ،[1] فأين الوهابيّة من هذه القاعدة الفقهيّة الهامّة التي تحقن دماء المسلمين بعد الشهادتين في الإسلام؟

سابعًا: إذا كان مجرّد انتساب أمورٍ لغير الله تعالى ودعائه يعدّ عبادة لغير الله، فلماذا كان الصحابة والمسلمون يدعون غير الله تعالى في الحروب كما كان شعارهم في حرب اليمامة ضد مسيلمة الكذاب وأعوانه المرتدّين، «يا محمّداه»،[2] وقول عمر بن الخطّاب للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام؛ حيث احتجّ عليه الإمام بقوله: انْزِلْ عَنْ مِنْبَرِ أَبِي إِلَى مِنْبَرِ أَبِيكَ... فردّ عليه عمر قائلًا: إِنَّمَا أَنْبَتَ مَا تَرَى فِي رَأْسِي مِنَ الشَّعْرِ اللهُ ثُمَّ أَنْتُمْ (أهل البيت عليهم السلام)،[3] ورواية ابن كثير في تأريخه عمّا جرى في يوم كربلاء قائلًا: وَنَدَبَتْ زَيْنَبُ أَخَاهَا الْحُسَيْنَ وَأَهْلَهَا، فَقَالَتْ وَهِيَ تَبْكِي: يَا مُحَمَّدَاهُ، يا حمداه، صلى عليك الله * وملك السماء * هذا حسين بالعراء مرمّل بالدماء، مُقَطَّعُ الْأَعْضَاءِ يَا مُحَمَّدَاهُ وَبَنَاتُكَ سَبَايَا، وَذُرِّيَّتُكَ مُقَتَّلَةٌ، تَسْفِي عَلَيْهَا الصَّبَا.[4] هل يعقل أن نقول بشرك المسلمين والصحابة والتابعين بدعائهم غير الله تعالى واستنصارهم من غير الله في الحروب والمأسات والشدائد؟!

ثامنًا: سيرة المسلمين وإجماعهم على جواز دعاء غير الله تعالى بأنواعه وأنحائه:

١- ورواية عثمان بن حنيف الشهيرة وتعليمه للرجل الضرير بعد استشهاد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حينما قال (يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ، فَتَقْضِي لِي).[5]

---

١. الغزّي، محمّدصدقي بن أحمد، موسوعة القواعد الفقهيّة، ج ٨، ص ٣٠٩-٣١٠.

٢. الدمشقي، إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ج ٦، ص ٣٥٧؛ الشيباني الجزري، عزّ الدّين بن الأثير، الكامل في التأريخ، ج ٢، ص ٢١٧.

٣. الواسطي، أسلم بن سهل، تأريخ واسط، ص ٢٠٣.

٤. الدمشقي، إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢١٠.

٥. الشيباني، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، باب حديث عثمان بن حنيف، ج ٢٨، ص٤٧٨.

٢- قول عبد الله بن محمّد بن الصدّيق الغماري: فالتوسّل والاستغاثة والتشفّع بسيّد الأنام... من الأمور المندوبات والمؤكّدات، وخصوصًا عند المدهمات...[١]

٣- قول الإمام السبكي الشّافعي: وجواز ذلك وحسنه، من الأمور المعلومة لكلِّ ذي دين، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين، وسير السلف الصالحين، والعلماء والعوام من المسلمين، ولم ينكر أحدٌ ذلك من أهل الأديان، ولا سُمع به في زمن من الأزمان...[٢]

٤- قول الحافظ أبي ألفضل عبد الله الغماري ردًّا على ادّعاء الإجماع:.. ولا شكّ أنّ هذه الدعوة من ابن تيميّة باطلة، كما تبيّن ممّا نقلناه عن عثمان بن حنيف وبلال بن الحرث المزني وعائشة والحافظ ابن المقرّي وأبي الخير المغربي والخلّال وغيرهم...[٣] فأين علماء نجد من هذه النصوص وسيرة السلف وإجماع الأمّة على جواز دعاء غير الله تعالى؟!

تاسعًا: إنّ مسائل القبور وما يدور حولها من الأمور العباديّة لله تعالى هي مسائل فقهيّة لا عقديّة، وقد أشار إلى هذا المهم المحدّث الكبير محمود ممدوح رادًّا على الوهابيّة بقوله: أمّا نقل المخالف لمسائل القبور من الفروع الفقهيّة إلى الأصول الإيمانيّة فخطأ شنيع وشذوذ... بل ومخالفة لإجماع الأمّة باختلاف اتّجاهاتها العقديّة والفقهيّة.[٤]

وعاشرًا: مقتضى الأدب ألا نقارن بين أعمالنا ولا نقدّمها على نفس رسول الله عليه الصلاة والسلام في التوسّل (بمعناه العام وشموله للاستغاثة والشفاعة)، وأنّه اذا كان التوسّل بالعمل الصالح مشروعًا باتّفاق، لمكان العمل الصالح من رضى الله تعالى، فإنّ التوسّل بالرسول عليه الصلاة والسلام أولى، فلا مقارنة بين مرتبة أعمالنا الصالحة المدخولة ومرتبة النبي الأكرم عليه الصلاة والسلام من ربّه.[٥] ومن الأدب أن نمتثل ما أجازه الله ورسوله الكريم عليه ﷺ وعمل به المسلمون من السلف والخلف وعدم صد

١. الغماري، عبد الله بن محمّد بن الصدّيق، إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسّل بالنبي، بتعليق: السيد حسن بن علي السقّاف، ص ٣.

٢. السبكي، تقيّ الدين علي بن عبد الكافي، شفاء السقام في زيارة خير الأنام، ص ٣٥٧.

٣. الغماري، عبد الله بن محمّد بن الصدّيق، إتحاف الأذكياء بجواز التوسّل بالأنبياء والأولياء، ص ٢٨.

٤. ممدوح، محمودسعيد، كشف الستور عمّا أشكل من أحكام القبور، ص ٨.

٥. قديش اليافعي، عبد الفتّاح بن صالح، التوسّل بين المجيزين والمانعين دراسة مقارنة، ص ٦٦.

الطريق الذي يرشد النّاس الى المعارف الإلهيّة.

وحادي عشر: الملاكات الأربعة الواجبة لوصف العمل بالعبادة الّتي ذكرناها من اعتقاد الربوبيّة والألوهيّة في المدعوّ ورؤية استقلاله في التأثير وقصد عبادته مقرونة بقرينيتين لا يمكن التخلّي عنهما أبدًا وهما:

أ) قرينة حسن الظنّ بعمل المسلم؛ حيث أخرج ابن مردويه عن السيّدة عائشة قالت، قال رسول الله ﷺ: من أساء بأخيه الظن فقد أساء بربه، إنّ الله يقول ﴿**اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ**﴾. وأخرج أحمد في الزهد عن عمر بن الخطاب قال: لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءًا وأنت تجد لها في الخير محملًا.[1]

ب) قرينة إسلام المسلم: قال رسول الله ﷺ: مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ. وقال الإمام النّووي في شرحه لهذا الحديث: فِيهِ تَأْكِيدُ حُرْمَةِ الْمُسْلِمِ وَالنَّهْيُ الشَّدِيدُ عَنْ تَرْوِيعِهِ وَتَخْوِيفِهِ وَالتَّعَرُّضِ لَهُ بِمَا قَدْ يُؤْذِيهِ وَقَوْلُهُ ﷺ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ مُبَالَغَةٌ فِي إِيضَاحِ عُمُومِ النَّهْيِ فِي كُلِّ أَحَدٍ سَوَاءٌ مَنْ يُتَّهَمُ فِيهِ وَمَنْ لَا يُتَّهَمُ، وَسَوَاءٌ أَكَانَ هَذَا هَزْلًا وَلَعِبًا أَمْ لَا؛ لِأَنَّ تَرْوِيعَ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ بِكُلِّ حَالٍ.[2]

كلّ ذلك عليه المسلمون من القرون الأولى إلى زماننا هذا، ولكنّ ابن عبد الوهاب ومن تبعه من الوهابيّين النجديين ومن تبعهم فقد شقّوا عصا المسلمين، وابتدع (محمّد بن عبد الوهّاب) ما ابتدعه من الزيغ والضلال الذي أغوى به الجاهلين وخالف فيه أئمة الدين وتوصل بذلك إلى تكفير المؤمنين فزعم... أنّ نداء النبيّ ﷺ عند التوسل به شرك وكذا نداء غيره من الأنبياء والأولياء والصالحين عند التوسل بهم شرك وأنّ من أسند شيئًا لغير الله ولو على سبيل المجاز العقلي يكون مشركًا نحو نفعني هذا الدواء وهذا الولي الفلاني عند التوسل به في شيء وتمسك بأدلة لا تنتج له شيئًا من مرامه وأتى بعبارات مزوّرة زخرفها ولبس بها على العوام حتى تبعوه وألّف لهم في ذلك رسائل حتى اعتقدوا كفر أكثر أهل التوحيد... وكان كثير من مشايخ ابن عبد الوّهاب بالمدينة يقولون سيضلّ

١. السّيوطي، جلال الدّين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج ١٣، ص ٥٦٠-٥٦١.
٢. النّووي، يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج ١٦، ص ١٦٩-١٧٠.

هذا أو يضلّ الله به من أبعده وأشقاه، فكان الأمر كذلك،[1] ونعوذ ونبرأ إلى الله تعالى ممّا اعتقد ابن عبد الوهّاب وعلماء نجد الوهابيّة في المسلمين بتمام فرقهم ونحلهم.

النتيجة

علماء نجد الوهابيّة قد فسّروا الدعاء تارةً بمعنى العبادة، وتارة بمعنى المسألة، لكنّهم أخطئوا بالتفسير كما بيّنا؛ لذلك اعتبروا أعمال المسلمين أعمالًا شركيّةً وعبادة لغير الله تعالى وتشبّهًا بالمشركين والنصارى، في حين وجدنا المشركين والنصارى قد قصدوا عبادة أصنامهم وآلهتهم مع اعتقاد ربوبيّتهم وألوهيّتهم واستقلاليّتهم في التأثير، في حين أنّ المسلمين لم يقصدوا عبادة من يدعونه من دون الله تعالى، ولم يعتقدوا فيه الربوبيّة والألوهيّة وشؤونهما، بل يرونه سببًا ووسيلة وغير مستقلٍ في العمل عن الله تعالى؛ لذلك يدعونه توصّلًا وحبًّا وتقرّبًا إلى الله تعالى.

قد فرغنا من هذا البحث وبأيدينا نتائج هامّة نذكرها على سبيل الإيجاز والاختصار وهي: إنّ دعاء غير الله هو طلب الداعي المسلم من غير الله تعالى لا على نحو استقلال المدعوّ في التأثير والاعتقاد بربوبيّته، وألوهيّته وقصد عبادته، والدعاء لم يكن بمعنى العبادة والسؤال فحسب، بل له معان عديدة بيّناها من خلال الآيات المحكمات القرآنيّة، وعلّمنا بأنّ النسبة بين الدعاء والعبادة عموم وخصوص من وجه، وأنّ صرف دعاء غير الله لا يعدّ عبادة لغيره تعالى، بل يفتقر إلى نيّة التعبّد واعتقاد ربوبيّة المدعو والوهيّته واستقلاله في التصرّف والتأثير، وكذلك السبب الذي أدّى إلى تحريم الوهابيّة لدعاء غير الله تعالى، واعتباره شركًا بالله تعالى هو ناشئٌ من التفسير الخاطئ لمعنى الدعاء والعبادة وتقييدهم السؤال من غيره تعالى بما لا يقدر عليه إلّا الله، وعلمنا بأنّ إسلام المسلم وإيمانه وحسن الظنّ بأعماله من القرائن الّتي يجب أن يمتثّل بها كلّ مسلم قبل حكمه على أعمال المسلمين من حيث الصحّة والسقم، وأخيرًا ننوّه على أنّ البحث في هذا المجال مفتوح، ويحتاج كتابة كتب وتأليفات أوفى وأبلغ بالمراد؛ لما فيه من خطورة الوقوع في ظلمات التكفير وتفريق الأمّة وتمزيقها.

---

١. ابن زيني دحلان، السيدأحمد، فتنة الوهابيّة، ص ٤.

المصادر

١. **القرآن المجيد.**

٢. ابن فارس، أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: هارون عبد السلام، محمّد، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ه.

٣. ابن زيني دحلان، السيدأحمد، **الدررالسنيّة في الرد على الوهابيّة**، تحقيق: الدكتور جبريل حدّاد، الناشر مكتبة الأحباب - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ه.

٤. **وفتنة الوهابيّة**، الناشر المكتبة الحقيقة، اسلامبول - تركيا، الطبعة الأولى، طبعة جديدة بالأوفست.

٥. ابن عثيمين، محمّد بن صالح، **القول المفيد على كتاب التوحيد**، الناشر دار ابن الجوزي، السعوديّة، الطبعة الثانية، ١٤٢٤ه.

٦. ابن عثيمين، محمّد بن صالح، **شرح ثلاثة الأصول**، الناشر دار الثريا للنشر، الطبعة الرابعة، ١٤٢٤ه-٢٠٠٤م.

٧. ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، الناشر دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ه.

٨. ابن كثير الدمشقي، إسماعيل بن عمرو، **تفسير القرآن العظيم**، الناشر دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ١٤١٩ه.

٩. ابن كثير الدمشقي، إسماعيل بن عمرو، **البداية والنهاية**، تحقيق: علي شيري ، الناشر دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ه.

١٠. ابن فرحان المالكي، حسن، **قراءة في كتاب التوحيد للشيخ محمّد بن عبد الوهّاب**، الناشر مركز الدراسات التأريخيّة، الطبعة الموجودة على النت.

١١. ابن علوي المالكي، السيد محمّد، **مفاهيم يجب أن تصحّح**، الناشر دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٣٠ه-٢٠٠٩م.

١٢. ابن تيميّة، تقي الدين بن أحمد بن عبد الحليم، **العبوديّة**، تحقيق: محمد زهيرالدويش، الناشر المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة السابعة الجديدة، ١٤٢٦ه-٢٠٠٥م.

١٣. ابن تيميّة، تقي الدين بن أحمد بن عبد الحليم، **الاستغاثة في الرد على البكري**، تحقيق: د. عبد الله بن دجين السهلي، الناشر: مكتبة دارالمنهاج للنشر والتوزيع، الرياض -السعوديّة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ه.

١٤. الأرمي العلوي الشافعي، محمّد الأمين بن عبدالله، **تفسير حدائق الرّوح والرّيحان في روابي علوم القرآن**، مراجعة: هاشم محمدعلي بن حسين مهدي، الناشر دار طوق النجاة، بيروت -

لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١ه-٢٠٠١م .
١٥. البيضاوي، عبد الله بن عمر، **أنوار التنزيل وأسرارالتأويل**، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤١٨ه.
١٦. البخاري الجعفي، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ .
١٧. الواسطي، أسلم بن سهل، **تأريخ واسط**، الناشر عالم الكتب، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ه.
١٨. الحيدري، كمال، **الشفاعة بحوث في حقيقتها وأقسامها ومعطياتها**، الناشر مؤسّسة الهدى للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٤ه-٢٠١٣م.
١٩. الطباطبائي، محمّدحسين، **الميزان في تفسيرالقرآن**، الناشر انتشارات إسلامي جامعة مدرّسين حوزة علميّة، قم - إيران، ١٤١٧ه .
٢٠. الطبري ، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمدشاكر، الناشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٢١. الطريحي، فخر الدين بن محمد، **مجمع البحرين**، تحقيق: أحمد حسيني أشكوري، الناشر رضوي، تهران - إيران، الطبعة الثالثة، ١٣٧٥ش.
٢٢. المالكي الحسيني، محمّد بن علوي، **مفاهيم يجب أن تُصحّح**، الناشر دار الكتب العلميّة، لبنان - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٣٠ه.
٢٣. المكّي، ابن حجر، **الجوهر المنظّم في زيارة القبرالشريف النبوي المكرّم**، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، الناشر مكتبة مدبولي ميدان طلعت حرب، مصر - القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
٢٤. المقدسي الحنبلي، محمّد بن مفلّح، **الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدّين علي بن سليمان المرداوي**، تحقيق: عبد الله بن محسن التركي، الناشر مؤسّسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ه.
٢٥. محمّدسالم، محمد إبراهيم، **مجموعة الردود الشاملة**، الطبعة الأولى، ١٤١٤ه،١٩٩٤م.
٢٦. الماردیني الشافعي، شمس الدين بن محمّد، **الأنجم الزاهرات على حلّ ألفاظ الوارقات في أصول الفقه**، تحقيق: عبد الكريم بن علي محمّد بن النمله، الناشر مكتبة الرشد، الرياض - السعوديّة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م.
٢٧. ممدوح، محمودسعيد، **كشف الستور عمّا أشكل من أحكام القبور**، الناشر دار الفقيه للنشر والتوزيع، دبي - دولة الأمارات العربيّة المتّحدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ه.

٢٨. النابُلسي، عثمان مصطفى، **الرؤيـة الوهابيّـة**، الناشـر دار النـور المبـين للنشـر والتوزيـع، عمـان – الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م .
٢٩. النووي،محيي الدين بن شرف، **المجموع شرح المهذّب**، الناشر دار الفكـر، طبعـة كاملـة معهـا تكملة السبكي والمطيعي.
٣٠. النووي،محيي الدين بن شرف، **المنهاج شرح صحيح مسلم بـن الحجـاج**، الناشـر دار إحيـاء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ه.ق .
٣١. النجدي، محمّد بن عبـد الوهّـاب، **الجواهرالمضيـة**، الناشـر دار العاصـمة، الريـاض – السـعوديّة، الطبعة الأولى، ١٣٤٩ه.
٣٢. النجدي، محمّد بن عبد الوهّـاب، **تفسيرآيات مـن القـرآن الكـريم** (المطبـوع ضـمن مؤلّفـات الشيخ الجزء الخامس)، تحقيق: الدكتور محمّـد بلتـاجي، الناشـر جامعـة الإمـام محمّـد بـن سـعود، الرياض – السعوديّة، الطبعة بدون تاريخ، تفسير سورة البقرة.
٣٣. النجدي، محمّد بن عبد الوهّاب، **أصول الإيمان**، تحقيق: فيصـل الجـوابرة، الناشـر وزارة الشـؤون والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعوديّة، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠ه.
٣٤. النجدي، محمّد بن عبـد الوهّـاب، **كشـف الشـبهات**، الناشـر وزارة الشـؤون الإسـلامية والأوقـاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ
٣٥. النجدي، عبد الرحمن بن حسن (آل الشيخ)، **بيان المحجّـة فـي الـردّ علـى اللجـة**، الناشـر دار العاصمة، الرياض – السعوديّة، الطبعة الأولى، ١٣٤٩ه.
٣٦. النخجواني، نعمة الله بن محمود، **الفواتح الإلهيّة والمفـاتح الغيبيّـة**، الناشـر داركابي للنشـر، مصر، ١٩٩٩م.
٣٧. النسفي، عبد الله بن أحمد، **تفسير النسـفي (مـدارك التنزيـل وحقـائق التأويـل)**، الناشـر دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
٣٨. السبحاني، جعفر، **التوحيد والشرك في القـرآن**، الناشـر انتشـارات أُسـوة، إيـران، الطبعـة الثانيـة ١٤١٣ه.
٣٩. السبحاني، جعفر، **الشفاعة في الكتاب والسنّة** (سلسلة التوجيهات الاسلاميّة – ١).
٤٠. السقّاف، حسن بن علي، **مجموع رسائل السقّاف، الإغاثة بأدلّة الاستغاثة**، الناشـر دار الإمـام الرواس، لبنان – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٨ه.
٤١. السيوطي، محلّى جلا الدين وجلال الدين، **تفسير الجلالين**، الناشـر مؤسّسـة النـور للمطبوعـات، بيروت – لبنان، ١٤١٦ه.
٤٢. السيوطي، محلّى جلا الدين وجلال الدين، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، تحقيق: عبد الله

بن عبد المحسن التركي، دار النشر مركز هجر للبحوث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م.
٤٣. السبكي، تقيّ الدين علي بن عبد الكافي، **شفاء السقام في زيارة خير الأنام**، الناشر دار الكتب العلميّة، الباب الثامن: في التوسل والاستغاثة والتشفّع بالنبي عليه الصلاة والسلام.
٤٤. علماء نجد الأعلام، **الدرر السنيّة في الأجوبة النجديّة**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمّد بن قاسم، الطبعة السادسة، ١٤١٧ه، ١٩٩٦م.
٤٥. علي، جواد، **المفصّل في تأريخ العرب قبل الإسلام**، الناشر دار الساقي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢ه-٢٠٠١م.
٤٦. الفيومى، أحمد بن محمد، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، الناشر مؤسّسة دار الهجرة، قم - إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٤هق .
٤٧. قديش اليافعي، عبد الفتّاح بن صالح، **التوسّل بين المجيزين والمانعين دراسة مقارنة**، الناشر مكتبة النور.
٤٨. القطيفي، نزار آل سنبل، **توحيد العبادة**، النّاشر مركز الزهراء الإسلامي، الطّبعة الأولى، ١٤٣٢هق.
٤٩. الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد، **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق: داوودي، صفوان عدنان، الناشر دار القلم، دار الشاميه، بيروت - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٢ه.
٥٠. شاه وليّ الله الدهلوي،أحمد بن عبد الرحيم، **حجّة الله البالغة**، تحقيق: السيد سابق، الناشر دار الحيل، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ه-٢٠٠٥م.
٥١. الشيباني الجزري،عزّ الدّين بن الأثير، **الكامل في التأريخ**، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان،الطبعة الأولى، ١٤١٧ه .
٥٢. الشيباني، أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، الناشر مؤسّسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ه.
٥٣. الغزّي، محمّدصدقي بن أحمد، **موسوعة القواعد الفقهيّة**، الناشر مؤسّسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ه،٢٠٠٣م .
٥٤. الغمارى، عبد الله بن محمّد بن الصدّيق، **إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسّل بالنبي**، تعليق: السيد حسن بن علي السقّاف الشافعي.
٥٥. الغماري، عبدالله بن محمّد بن الصدّيق، **إتحاف الأذكياء بجواز التوسّل بالأنبياء والأولياء**، الناشر مكتبة القاهرة – مصر العربيّة، ١٤٣٧ه-٢٠١٦م.